

ندوات تلفزيونية - قناة اليمن : الندوة العالمية الأولى لتأهيل وتدريب الأيتام المنعقدة في اليمن
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-٠١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية ، وصحبه الكرام ، السادة العلماء الأجلاء ، أهل الفضل والإحسان ،
المؤمنين الأعزاء ، الأخوة الحضور ...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
من خلال هذه الندوة العالمية الأولى لتأهيل وتدريب الأيتام ، التي عُقدت في هذا البلد الطيب ،
وبرعاية كريمة من رئاسة الجمهورية ، اجتاحتني بعضُ الخواطر ، والأفكار والنصوص ، أستأذنكم
أن أضعها بين أيديكم ، فإن أصبت فمن توفيق الله ، وإلا فمن تقصيري .

مقدمة :

أيها الأخوة الكرام ... إن الذين نُكِّن لهم عظيم الاحترام ، ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال ،
أو الدهاء ، أو المكر ، أو القوة العسكرية الخارقة ، وإنما نكن عظيم الاحترام ، لهؤلاء الذين حملوا
همّ أمّتهم ، وحاولوا التخفيف من متاعبها ، هؤلاء الذين يرون ما لا يراه الآخرون ، ويشعرون بما لا
يشعرون ، يتمتعون بوعي عميق ، وإدراك دقيق ، لهم قلب كبير ، وعزم متين ، وإرادة صلبة ،
هدفهم أكبر من حاجاتهم ، رسالتهم أسمى من رغباتهم ، يملكون أنفسهم ، ولا تملكهم ، ويقودون
أهواءهم ، ولا يبقادون لها ، تحكمهم القيم ، ويحتكمون إليها ، من دون أن يسخروها ، أو يسخرُوا
منها .
والأنبياء قمم لهذه النماذج التي نحترمها ، ولولا أن الأنبياء بشر تجري عليهم كل خصائص البشر ،
لما كانوا سادة البشر ، فلذلك هؤلاء الأنبياء العظام أعطوا ولم يأخذوا ملكوا القلوب ، عاشوا للناس

من استخلف على الناس عليه أن يسد جوعتهم و يستر عورتهم و يوفر لهم حرفتهم :

أيها الأخوة الأحاب ... سيدنا عمر رضي الله عن عمر ، قال لأحد ولاته : إن الله قد استخلفنا عن
خلفه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، وهذا ما سمعته في هذا الملتقى ، فإن
وفينا لهم ذلك تقاضيناهام شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد عملاً في الطاعة ،
التمست عملاً في المعصية ، فاشغلها بالطاعة ، قبل أن تشغلك بالمعصية ولا تغلق بابك دونهم ،
فيأكل قلوبهم ضعيفهم

أيها الأخوة الأحاب ... تروي فاطمة بنت عبد الملك ، زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز
خامس الخلفاء الراشدين ، أنها دخلت على عمر يوماً في مصلاه فرائته واضعاً يده على خده ،

ودموعه تسيل ، فقالت له : ما بالكَ ، وفيمْ بكأؤك ؟ فقال : دعيني وشأني ، فلما ألحَّت عليه ، قال لها : ويحك يا فاطمة ، إني قد وُلِيتُ هذا الأمر ، ففكرت في الفقيرِ الجائع ، والمريضِ الضائع ، والعارِيِ المجهول ، واليتيمِ المكسور ، والمظلومِ المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخِ الكبير ، والأرملةِ الوحيدة ، وذي العيالِ الكثير ، والرزقِ القليل ، وأشباههم في أطرافِ البلاد ، فعلمتُ أن الله سيسألني عنهم جميعاً يومَ القيامة ، وأن خصمي دونهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخشيتُ ألا تنبُت حجتي ، فلهذا أبكي .

هَلْ تُنصَرُونَ وَتُرزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ : في الحديث الشريف ملمحان دقيقان :

أيها الأخوة الكرام ... النبي عليه الصلاة والسلام يقول في حديث صحيح جامع مانع :

((هَلْ تُنصَرُونَ وَتُرزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ))

[البخاري عن مصعب بن سعد]

١ . ملمح توحيدي :

في الحديث الشريف ملمحان دقيقان : الأول ملمحٌ توحيدي : وهو أن القوي الذي مكنه الله في الأرض إذا نصر الضعيف (واليتيم ضعيف) أطعمه إن كان جائعاً ، كساه إن كان عارياً ، آواه إن كان مشرداً ، وفر له عملاً إن كان عاطلاً ، عالجه إن كان مريضاً ، هياً له سبل المعرفة إن كان جاهلاً ، ونصره إن كان مظلوماً ، عندئذٍ يكافئ الله القوي مكافأةً من جنس عمله ، فينصره على أعدائه الأقوى منه .

٢ . ملمح آلي :

الملمح الثاني ملمح آلي إن صحَّ التعبير وهو : أن الأمةً بُصِّرت الضعيف تتماسكُ ، وتجتمعُ وتصيحُ سداً منيعاً ، فلا يستطيع العدو الخارجي أن يخرقها ، ولا أن يُفنتَ وحدتها ، ولا أن يتشقَّ صفوفها ، أعطِ الإنسانَ رغيْفَ خبزِه وكرامته ، وخذْ منه كلَّ شيءٍ

التقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها لتتناول بعض الفروض الحضارية:

أيها الأخوة الأحباب ... كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعالج المشكلات من أسبابها لا من نتائجها، فقد دخل رجل بستاناً ، وأكل من شجره من دون إذن صاحبه ، فسأقه إلى النبي على أنه سارق ، فقال عليه الصلاة والسلام : هلا علمته إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمته إن كان جائعاً وما دام الحديث عن التنمية المهنية والاجتماعية فنحن في أمس الحاجة إلى إيجاد مدخلٍ جديدٍ لهذه التنمية ، يقوم على منح بعض الثوابِ الأخلاقية الإسلامية معاني جديدة ، أو اهتماماتٍ خاصة

ببعض مدلولاتها ، بغية التخفيف من وطأة التخلف الذي يجتاح حياة المسلمين فالتقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها ، كي تتناول بعض الفروض الحضارية ، كالإسراع إلى العمل ، وإتقان العمل ، وتطوير العمل ، والمحافظة على الوقت وحسن إدارة الوقت ، والعمل المؤسساتي ، والعمل الخيري ، وترسيخ مفهوم فريق العمل ، والالتزام بالمواعيد ، وحسن التصرف بالإمكانات المتاحة ، وترشييد الاستهلاك ، والتعاون والانتماء للمجموع ، وكلُّ هذه القيم المعاصرة لها أصولٌ ثابتة في القرآن والسنة

رَفْعُ المعاناةِ عن الأمةِ يتطلبُ أن يستخدمَ المرءُ عقله قبل يده :

أيها الأخوة الأحباب ... ويمكن من خلال التربية المركزة أن نجعلَ المواطنَ يشعُرُ بحلاوة الإيمان ، وحلاوة الالتزام ، من خلال القيام بهذه الأعمال التي تُحلُّ بها مشكلات الأمة ، كما يشعر تماماً عندما يضع صدقةً في يد فقير ، أو عندما يقوم الليل والناس نيام .

إن رَفْعَ المعاناةِ عن الأمةِ يتطلبُ عدداً كبيراً من المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين ، وهذا ما يجب السَّعي إليه ، ولأنَّ ينجح فرد في إعداد مجموعة من المواطنين إعداداً إيمانياً وعلمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وجسدياً أحبُّ وأنفعُ من أن يُلقى بنفسه في أتون نارٍ تقول : هل من مزيد .

وكما أن الأمةَ بحاجة إلى من يموت في سبيل الله ، هي في أمسِّ الحاجة إلى من يعيش في سبيل الله ، إن النجاح يكمن في أن يستخدمَ المرءُ عقله قبل يده ، كما يفعل الطرف الآخر .

من مقتضيات الإيمان و مسلماته :

١ . زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة الكرام ... من مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته ، أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(سورة النور الآية : ٥٥)

الشرط

﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ١٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد الآية : ١١)

فالفكرة في ملعبنا .

٢ . قوى الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تفسد على الله هدايته لخلقه :

من مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن قوى الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

يُغْلِبُونَ

(سورة الأنفال الآية : ٣٦)

لذلك لا ينبغي أن نقلق على هذا الدين إنه دين الله ، ولكن ينبغي أن نقلق على أنفسنا ما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح لنا أن نكون جنوداً له .

أيها الأخوة الكرام ... والباطل قديم قدم الإنسان ، ولكن بطولتنا ألا نسمح للباطل أن ينفرد بالساحة

٣ . أمة قوية خطت لتبني مجدها على أنقاض الشعوب فهذا يتناقض مع وجود الله :

ومن مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن أي أمة في الأرض مهما تكن قوية إذا خطت لتبني مجدها ورخاءها على أنقاض الشعوب ، وحريات الشعوب ، وثقافات الشعوب ، نجاح خطتها على المدى البعيد لا يتناقض مع عدل الله فحسب ، بل يتناقض مع وجوده ، قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة يوسف)

ما من شدة إلا و يعقبها شدة إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ... الأمة العربية والإسلامية تمر بمحنة عظيمة ، نرجو أن تكون وراءها منحة ربانية لا شرقية ولا غربية ، ولكن علوية سماوية ، وتعاني هذه الأمة من شدة لم تشهد مثلها في التاريخ الحديث ، نرجو أن يعقب هذه الشدة شدة إلى الله عز وجل تستحق بعدها أن تُستخلف ، وأن تُمكن في الأرض ، وأن تستعيد دورها القيادي بين الأمم فهي متحضرة بهذا الدين العظيم ، ونرجو أن تكون متطورة ، بينما العالم القوي متطور جداً ولكنه ليس متحضراً .

نماذج من حضارتنا الأخلاقية :

ومن نماذج حضارتنا الأخلاقية أن عمر بن الخطاب جاءه ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم مسلماً ، فرحب به أجمل ترحيب ، وفي أثناء طواف جبلة حول الكعبة داس بدوي من فزارة طرف رداءه ، فالتفت جبلة نحو البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه ، فما كان من هذا البدوي إلا أن شكا جبلة إلى عمر ، فاستدعى عمر جبلة إلى مجلسه ، ودار بينهما حوار ، صاغه أحد الأدباء المعاصرين شعراً؛ قال عمر لجبلة : وقال له : صحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر شيئاً ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي .

قال عمر : أرضي الفتى ، لا بدّ من إرضائه ، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تتال ما فعلته كفاك .

قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ، وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخبر النجم أرضاً ؟ قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً .

فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

فقال عمر : عالم نبيه ، كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصلعوك تساوى .

ثقافة أمة ملك البشرية جمعاء :

وختاماً أيها الأخوة الكرام ... نحن أمة منفتحة على الثقافات الأخرى ؛ لذلك ثقافة أمة ملك البشرية جمعاء لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ .

لذلك نحن نفتح أبوابنا لتجديد هواء بيتنا ، ولكننا لا نسمح للرياح العاتية أن تقتلعنا من جذورنا

خاتمة :

أيها الأخوة الكرام ... نشكر هذا البلد الطيب ؛ رئاسة ، وحكومة ، ومؤسسات ، وشعباً على استضافتنا وإكرامنا ، في هذا الملتقى الإنساني الطيب ، ونرجو الله أن يحفظ هذا البلد ، وبلاد المسلمين من كيد الكائدين ، وعدوان المعتدين ، إنه سميع بصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين